ذاكرة

سمير مراد

من نور الهدى إلى صباح وزكية حمدان وسعاد محمد ونجاح سلام

"نجمات الأربعينات اللبنانية"... حنين الزمن الأصيل

نور الهدى وصباح وسهام رفقي ونورهان ونهوند وسعاد محمد ونجاح سلام ونازك وزكية حمدان وحنان واوديت كعدو، وبهية وهبي التي صار اسمها "وداد" بعد زواجها من الموسيقار توفيق الباشا.... 12 فنانة نفض محمود الزيباوي واسعد مخول عنهن الغبار، بعد بحث استمر سبع سنوات كاملة للخروج بكتاب توثيقي مهم

"نجمات الغناء في الاربعينات اللبنانية" عنوان الكتاب الفني الضخم الصادر عن جمعية "عِرب" التي تعنى بتوثيق التراث الموسيقي العَربي. يضم المجلد الفني الضخم الى الجانب التأريخي والتحليل، مجموعة وثائق بصرية وفوتوغرافية وموسيقية. يمكننا القول ان الكتاب يضم ثروة من الصور نادرة بالابيض والاسود والملون لهؤلاء الفنانات، وافيشات حفلاتهن، واخبارهن ورحلاتهن بين لبنان وسوريا ومصر والعراق وفلسطين. كما ترافق مع اربع اسطوانات تضم مقتطفات من اعمالهن غير متوافرة على يوتيوب. اذ ان مصدرها مجموعة الزيباوي الخاصة، والارشيف الصوتي الذي تشتغل على تكوينه جمعية "عرب".

"الامن العام" التقت احد المؤلفين الفنان اللبناني محمود الزيباوي، وهو فنان تشكيلي وناقد وباحث متخصص في فن الايقونة وفي التراث الموسيقي العربي، ليكشف لنا بعض كواليس تلك الرحلة الشيقة والمثيرة والنوستالجية الى اربعينات التأسيس للاغنية اللبنانية والعربية في لبنان.

■ ما الذي اخذك انت الفنان المتخصص في فن الايقونة الى عالم التأريخ والتوثيق الموسيقيين؟

□ من يعرفني منذ نعومة اظافري، يدرك جيداً مدى ولهي بعالم الغناء باطيافه المتعددة. اكاد اقول انني متخصص في الغناء الفرنسي، كما الغناء الايطالي، كما الغناء العربي. وهذا الامر نابع عن شغف. لم اكن اطلاقا ممن يكتبون في هذا المجال لأنه كان لدي نوع من الخفر. لدي سبعة كتب مترجمة الى اكثر من ست لغات عالمية، علما ان كتابي الاول فقط هو عن الايقونة، فيما الباقي كله يتوزع على فنون مختلفة ذات علاقة بفن التصوير والرسوم في الكنائس الشرقية. لكن منذ اكثر من 14 سنة، وتحديدا حين بدأت الكتابة في صحيفة "النهار"، اضحت مقالاتي متنوعة ودخلت في عالم الغناء من باب المامي القديم بالاخوين رحباني وفيروز وعبد الوهاب. هذا الالمام جعلني اتعرّف اكثر الى هذا العالم، خصوصا وانه لا يوجد نوع غناء منفصل عن نوع آخر، فكل تجربة غنائية ابن زمنها. هذا الكتاب كان في البدء فكرة مقالة طويلة جدا بالعنوان نفسه نشرت عام 2011 في ملحق "النهار" مع غلاف واربع صفحات. اما كيف ولد هذا المقال، فيمكنني القول بأنه مصادفة. اذ كنت ابحث عن بدايات الاخوين رحباني من مصادر خارج رواية منصور الرحباني.

■ لماذا؟

□ لأنني مقتنع بأن الباحث الذي يريد ان يجري بحثا جديا، ليس عليه ان يصغي الى صاحب الشأن لأن الاخير سيعطيه سيرة انتقائية وناقصة، خصوصا وان الذاكرة تخون في خريف العمر. اذا، ولدت الفكرة خلال بحثي عن بدايات الاخوين رحباني. يومها، وجدت عند صديقي ومالك الارشيف عبودي ابوجودة مجلدين من مجلة الاذاعة اللبنانية لعامي 1948 و1949. سعدت جدا لأن ذلك سيساعدني في تقفّي بدايات الاخوين رحباني. هكذا، كتبت مقالا عن البدايات المجهولة للاخوين، وصرت اعرف اليوم الذي دخلا فيه الاذاعة، والمرة الاولى التي ظهر فيها اسمهما في جداول الاذاعة. لكنني اكتشف ايضا عالم غناء نعرفه بالاسم ولا نعرفه فعلا. نعرف اسماء نازك وسعاد محمد ونجاح سلام واخرى لا نعرف عنها شيئا رغم انها كانت بارزة في حقبتها مثل ليلى ابراهيم. طبعاً اكتشفت عالم ملحنين نعرفهم بالاسماء فقط، ولم ينجحوا. ربما كانوا ملمين في عالم الموسيقى لكنهم لم يكونوا ملحنين موهوبين في رأيي، ولذلك لم ينجحوا. هذا المقال كان بداية البحث. بعد ذلك، صرت ابحث واؤرشف وصارت لدي مادة غنية تصلح لكتاب طبعا مع وجود ثغر ونواقص.

■ لماذا اخترت عنوان "نجمات الغناء في الاربعينات اللبنانية" وليس النجمات اللبنانيات؟

□ تعبنا جدا لاختيار العنوان. حين اتكلم عن لبنان، اعتبره مثل مدرسة باريس في الرسم التي تجمع فنانين من مختلف المنابت. الامر نفسه ينطبق على بيروت التي حضنت تجارب عدة منها غير لبنانية المولد. مثلا، المطربة زكية حمدان متحدرة من شمال سوريا، لكنها عاشت في لبنان وامها تزوجت ميشال خياط احد مؤسسي الاذاعة اللبنانية، واشتغلت في الاذاعة حتى انها طالبت بالجنسية سنة 1952. ايضا نورهان شركسية سورية لكنها تزوجت من محمد سلمان، وعاشت في لبنان واشتغلت في الاذاعة وغنت هنا، لذا فهي لبنانية وغير لبنانية. اما لماذا لم اقل "الغناء اللبناني"، فلأن الغناء اللبناني هو سر بالنسبة اليّ. هناك في الغناء اللبناني امر ملفت اشارت إليه عائلة آل سحاب المتخصصة في التوثيق الموسيقي. الغناء العربي هو الغناء المصري واللبناني وليس اي شيء آخر. السبب اننا لا نسمع الاغنية العراقية، ولا المصري يفعل ذلك، اللهم باستثناء ناظم الغزالي. لكن الغزالي هو احد الاسماء العديدة. لا أحد منا يعرف يوسف عمر الذي يعتبر سيد المقام العراقي ولا حتى اغاني الستينات والسبعينات الجميلة جدا. نحن نعرف هذه الاغنيات في صيغة الهام المدفعي التي هي صيغة حديثة لاغنيات قديمة. الامر ذاته ينطبق على المغرب واليمن. كما ان الغناء اللبناني هو سر، فهل مقولة زكي ناصيف صحيحة بأن الغناء اللبناني حقق هذا النجاح لأنه نوع يقع بين البدوي والمصري؟ نحن نعرف سميرة توفيق مثلا في الغناء البدوي، لكننا سنكتشف في الكتاب سهام رفقي قبلها، فهي التي مثّلت هذا الغناء بنجاح فائق في الاربعينات. هذا الغناء هو لبناني، اي من الحان سامي الصيداوي ونقولا المني وفيلمون وهبي. هذا الغناء هو بدوي، اي سهام رفقي مع ملحن سوري هو عبد الغني الشيخ، وهذا الغناء مصري مع سعاد محمد التي نجحت وشكّلت ثلاثيا مع زوجها محمد علي فتوح والملحن محمد محسن الذي كان اغلى ملحني تلك الفترة. علما انه كان دمشقيا لكنه عاش في لبنان واستأجر شقة على بعد امتار من الاذاعة. لذا، لدينا سوريان من بين الملحنين الستة الذين نجحوا مع هؤلاء المطربات. الى جانب هذه الاسماء، هناك نوع ثالث من النوع الذي دشنه عبد الوهاب في "جفنه علّم الغزل"، و"الصبا والجمال" اي قصائد قصيرة مع دخول آلات غربيةٍ عليها. هذا الخط مثّله خالد ابوالنصر الذي شكّل ثنائياً مع زكية حمدان مثل اغنية "سليمى" وغيرها. انطلاقا من كل هذه المعطيات، اخترنا هذا العنوان.



محمود الزيباوي.

> صور نادرة للفنانات وافيشات حفلاتهن واخبارهن ورحلاتهن بين لبنان وسوريا ومصر والعراق وفلسطين

■ ألم يكن هناك نجوم ذكور في تلك الحقبة؟

□ بلى، لكن اقل بكثير من النجمات. وقد أشرت اليهم في المقدمة. علما ان هؤلاء النجوم انطفأ بريقهم بسرعة كاملة. يعني فيلمون وهبي كان مغنيا في تلك الفترة وليس معروفا بعد كملحن. وديع الصافي لم يكن مشهورا ايضا يومها، فهو دخل الاذاعة عام 1939، لكن نجمه لم يلمع ابدا، ثم سافر في منتصف الاربعينات الى اميركا قبل ان يعود ليلمع في اغنية "عاللوما اللوما" عامي 1952 و1953. لم يحمل لقب "مطرب لبنان الاول" الا عام 1959. اشهر مطرب في تلك الفترة كان "عبد الوهاب لبنان" اي صابر الصفح الذي ما عاد احد يعرفه اليوم مع انه كان مطرب لبنان الاول. وقد ذكرته في مقدمة الكتاب، وكان محمد سلمان مطربا حينها ايضا، وكان يلقب مطرب العروبة قبل العروبة نفسها، الى جانب حليم الرومي الذي كان مطربا ايضا، لكنه لم يلمع عدا انه ينتمي الى جيل اقدم.

■ ما هي المعايير التي اعتمدتها لاختيار هؤلاء الفنانات؟

□ كل حقبة حوت مغنيات بقدر الحقبة التي نعيشها اليوم، ولا شيء مفاجئا في الامر. لذا جاء الاختيار وفق معيار زمني. وقد سئلت كثيرا مثلا لماذا لم اضم لور دكاش الى الكتاب مثلا. اجبت بأنها بدأت الغناء في عام 1928، ثم سافرت الى مصر عام 1930، ودخلت الاذاعة المصرية عام 1936، يعني انها من جيل آخر. كذلك الامر بالنسبة الى ماري جبران. كان اسمها ماري الجميلة ونجحت في مصر جدا، وعادت الى دمشق واشتهرت هناك باسم ماري جبران.

■ ما هي المصادر التي استعنت بها لانجاز الكتاب؟

□ عندما طرح عليّ باسل قاسم من جمعية "عرب" فكرة الكتاب، تطلّب هذا الامر بحثا جديدا وضرورة ايجاد كل مجلات الاذاعة اللبنانية التي تعود الى الاربعينات حتى عام 1953. وجدت جزءا في المجلات القديمة وصحافة تلك المرحلة. بعد طول بحث، اكتشفت قسما آخر في المكتبة الوطنية في المرفأ. بعد محاولات وطول عناء، نجحت في الدخول لفترة محدودة، وصوّرت وسجلت كل ما في حوزة المكتبة عن تلك المرحلة.

■ كم استغرقت عملية البحث هذه؟

□ حوالى سبع سنوات لأنني كما قلت اعتمدت على المنطق الاكاديمي في بحثي كأنني اجري اطروحة دكتوراه رغم ان تلك الاغاني كانت مصنفة ضمن الاغاني الخفيفة.

◄

جمعية "عِرب"

تأسست جمعية "عرب" في بيروت عام 2003 لتضم نخبة من الاختصاصيين والخبراء في الموسيقى بهدف "رفَع مستوى الوعي في شأن التراث الموسيقي الغني، وسد النقص الملفت في انتاج الموسيقى الشرقية المعاصرة"، الى الاضاءة على التراث الموسيقي العربي المهمل وتوثيقه.

تهدف الجمعية الى جمع النتاجات الموسيقية من الهواة والقطاع العام، ونقل الموسيقى من التسجيلات والاسطوانات الى نسخ رقمية.

"نجمات الغناء في الاربعينات اللبنانية" هو الكتاب الثالث الذي تصدره بعد كتابي "نور الهدى" لاسعد مخول، و"سيرة الاخوين فليفل" لمحمد كريم وجورج حرّو الذي فاز بجائزة الابداع الفني من "مؤسسة الفكر العربي" للعام 2015.

■ ماذا كان دور الاذاعة اللبنانية في تلك الفترة؟

□ ليس فقط دور الاذاعة اللبنانية. مصر كانت قوية وعهدها في الاذاعات اقدم بكثير، وسبقت الكل. قبل نشوء الاذاعة المصرية الرسمية، كانت هناك عشرات الاذاعات في بداية الثلاثينات منها اذاعة باسم فؤاد. يختلف دور الاذاعة اختلافا جذريا عن دورها اليوم. في ذلك الزمن، لم يكن هناك تلفزيون، ولا اسطوانات ولا شرائط. ولم يدخل شريط "الريل" الى الاذاعة اللبنانية الا في فترة متأخرة. كانت تضع اسطوانات او تبث غناء حيا، اي مباشرا. منطق الاذاعة كان مختلفا، اذ كانت اكبر منتج للغنيات. كانت تملك اكثر من فرقة مختصة شرقي وبلدي، وغناء حديث. لكل فرقة كان هناك قائد. عندما تدخل كموظف في الاذاعة، تصبح ملزماً انتاج وتسجيل اغنيات لمدة ثلث ساعة في الشهر. لذا، ليس مفاجئا ان يترك الفنان الفين وثلاثة آلاف اغنية، اذ كان الامر جزءا من عمله. كل فنان دخل الاذاعة بعد تأسيسها عام 1946 مع الاستقلال (كان اسمها "راديو الشرق" عام 1939)، ترك تسجيلات واغنيات لا تحصى. هؤلاء الفنانون توزع نشاطهم على اذاعة سوريا ومحطة الشرق الادنى والاذاعة اللبنانية. الى جانب هذه الاذاعات، كانت هناك الملاهي التي تختلف صورتها كليا عن الصورة التي نملكها عنها اليوم. كانت هذه الملاهي تستقدم هؤلاء المطربين والمطربات في وصلات من الطرب الرفيع جدا.

■ من بين الفنانات الـ12 اللواتي اخترتهن، من هي المحببة اليك؟

□ ربما من الناحية التراجيدية، مسّتني سيرة نور الهدى التي وصلت الى القمة ثم انهارت، حتى اصيبت بالجنون بسبب ذلك. اما النجاح العجيب، فجسدته صباح التي فشلت ثلاث مرات في اختبار الاذاعة واعتبرت مطربة صغيرة الصوت. محمد سلمان اعتبرها كذلك مثلا، قبل ان يكتب مقالا عام 1952 يعلن فيه تغيير رأيه ومعتبرا اياها مطربة من الطراز الرفيع.

■ ما هي العوامل التي ساهمت في نجاح او فشل هؤلاء الفنانات؟

□ اولا الصوت لا يكفي اذا لم يتوافر عنصر الكاريزما الشخصية. اما العنصر الاساسي، فهو اللحن والملحّن. هؤلاء الفنانات الـ12 يعود نجاحهن الى ستة ملحنين: نقولا المني وسامي الصيداوي وفيلمون وهبي في الغناء اللبناني، عبد الغني الشيخ مع سهام رفقي في البدوي، محمد محسن في المصري مع سعاد محمد وسواها، وخالد سلطان في القصيدة الحديثة.

■ ما هي اهمية حقبة الاربعينات فنيا وموسيقيا؟

□ المرحلة ما قبل هذه الفترة غامضة ولم يصلنا منها الا اسطوانات محدودة. لذا، فالاربعينات هي البداية الحقيقية. نرى ان البحث عن هوية للاغنية اللبنانية بدأ في تلك المرحلة في كواليس الاذاعة.

■ سؤال من خارج الكتاب، اخبرنا عن صالون السماع الذي ستقيمه في "دار النمر" (كليمنصو).

□ هو تكملة لعملي هذا من حيث القاء الضوء على مراحل غامضة في حياة الفنان. مثلا، في الحلقة الاولى، سنسمع فيروز في بداياتها قبل التقائها بالاخوين رحباني.

■ ما هو مشروعك المقبل؟

□ مشروعي الكبير سيكون ثلاثية عن الاخوين رحباني لأن كل الكتب عن الاخوين رحباني مليئة بالاخطاء. المادة شبه مكتملة عندي. الجزء الاول سيغطي مرحلة الاذاعة من عام 1948 حتى عام 1955، والجزء الثاني سيحكي عن بدايات عصر الاسطوانات والمهرجانات وصولا الى عام 1967. واخيرا الجزء الثالث سيمتد لغاية مرض عاصي عام 1972.


نور الهدى


صباح


زكية حمدان


سعاد محمد


نجاح سلام

واجهة المكتبات

■ حاول محامو الرئيس الاميركي دونالد ترامب منع صدور "نار وغضب - البيت الابيض في عهد ترامب". الا انهم فشلوا في ذلك، فأبصر كتاب الصحافي الاميركي مايكل وولف النور في 5 كانون الثاني 2018. سريعا، استحال العمل الاكثر مبيعا على الانترنت وموقع "امازون". اخيرا، نقلت "شركة المطبوعات للتوزيع والنشر" العمل الى لغة الضاد، لنكون امام اعترافات مخيفة عن شخصية حاكم البيت الابيض. اذ جمع المؤلف الاتهامات التي وجهها ستيف بانون المساعد السابق للترامب من بينها انه عديم الخبرة والاستقرار. كما يتحدث عن الانشقاقات والخلافات التي وقعت في كواليس البيت الابيض بسبب وصول ترامب الى السلطة، ويتهم ابنه باقامة اتصالات مع اشخاص على علاقة بالكرملين، ويصف ابنة ترامب ايفانكا بالغبية. واخيرا، يذكر ان ترامب ابلغ الى اصدقائه في البيت الأبيض انه وصهره هندسا انقلابا في السعودية.

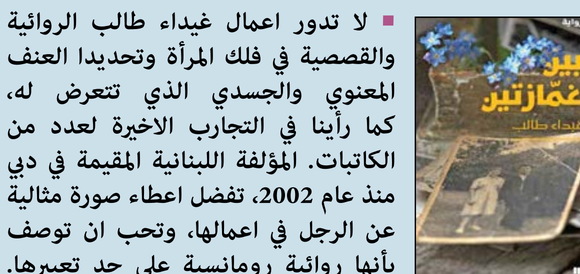


■ يعتبر مارك مانسون (1984) نجما مثيرا للجدل في بلاده. كتابه الاول "جذب النساء من خلال النزاهة" (2011) حظي بحفاوة شعبية واقبال كبيرين، فيما كتابه الثاني "فن اللامبالاة" الذي صدر عام 2016 استحال سريعا من بين الاعمال الاكثر شعبية ومبيعا. في هذا الكتاب الذي انتقل اخيرا الى لغة الضاد عن "دار التنوير"، يقدّم المؤلف والمدون الاميركي الشاب نصائح وارشادات الى عموم الناس كي يعيشوا حياة خالية من القلق والاخذ في الاعتبار احكام الآخرين عليهم.

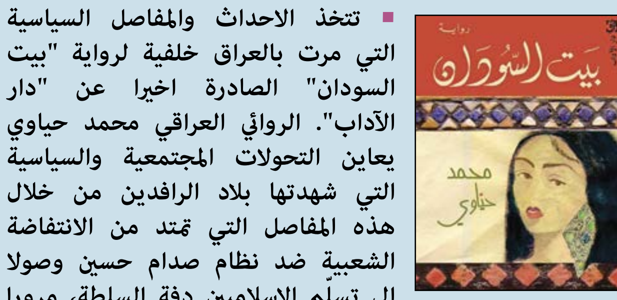


■ يبحث كتاب "انبياء البدو: الحراك الثقافي والسياسي في المجتمع العربي قبل الاسلام" ("دار الساقي") في شأن النبوة ومعانيها الممكنة لدى عرب الجاهلية. يستنطق المؤلف والباحث التونسي محمد سعيد النصوص المتبقية من المصادر المعتمدة في الرواية التأريخية العربية، معتمدا التحري التاريخي وادخال الزمان والمكان والواقع من اجل النظر في الماضي العربي البعيد.

■ انها لعبة الفقراء، لكنها نجحت في اكتساح السواد الاعظم من الكرة الارضية. لماذا استحالت كرة القدم اللعبة الاكثر شعبية في العالم؟ ما السبب الذي جعلها المكان الذي ينفق فيه الكم الاكثر من المال، وتحاك في كواليسه "المؤامرات"؟ ايمن جاده، المذيع ومقدم البرامج والمعلق والمدير السابق لقنوات "بي. إن سبورت" الرياضية، يحاول الاجابة عن هذه الاسئلة في "لماذا كرة القدم" ("الدار العربية للعلوم ناشرون"). الكتاب الجديد عصارة تجربة الاعلامي في كواليس هذه اللعبة على مدى عقود. اذ يقدم عملا ليس توثيقيا بقدر ما يعكس نظرته وخلاصاته الذاتية بعد هذه المعايشة لهذا العالم المذهل.



■ لا تدور اعمال غيداء طالب الروائية والقصصية في فلك المرأة وتحديدا العنف المعنوي والجسدي الذي تتعرض له، كما رأينا في التجارب الاخيرة لعدد من الكاتبات. المؤلفة اللبنانية المقيمة في دبي منذ عام 2002، تفضل اعطاء صورة مثالية عن الرجل في اعمالها، وتحب ان توصف بأنها روائية رومانسية على حد تعبيرها. بعد "كل عام وانت حبي الضائع" التي روت قصة امرأة تبحث عن حبها الضائع، صدرت روايتها الثانية "بين غمازتين" عن دار "هاشيت نوفل". هذه المرة، قررت طالب ان تخلع عباءة الرومانسية، لتذهب الى تاريخنا المعاصر، وتحكي مآسي الحرب اللبنانية انطلاقا من قصص وشهادات واقعية جمعتها من هنا وهناك.



■ تتخذ الاحداث والمفاصل السياسية التي مرت بالعراق خلفية لرواية "بيت السودان" الصادرة اخيرا عن "دار الآداب". الروائي العراقي محمد حياوي يعاين التحولات المجتمعية والسياسية التي شهدتها بلاد الرافدين من خلال هذه المفاصل التي تمتد من الانتفاضة الشعبية ضد نظام صدام حسين وصولا الى تسلّم الاسلاميين دفة السلطة، مرورا بحرب الكويت والاحتلال الاميركي. الا ان هذه العباءة السياسية لا تعني ان الرواية سياسية، بل ان كل هذه الاحداث ستشكل خلفية لقصة حب تدور في بيت تسكنه مجموعة من النساء السوداوات الجميلات اللواتي يربين طفلا ابيض. قصة الحب هذه التي سيكون مصيرها حزينا بحزن مآل العراق، تسير بالسرد الذي يمر على هذه التحولات السياسية والتاريخية.